

البداية والنهاية

وغيره من علماء الحرثانيين (1) فلاسفة حران في قديم الزمان وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبع وهم طائفة من الصابئين ولهذا قال اﷻ تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا ﷻ الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون وقال تعالى إخبارا عن الهدد أنه قال لسليمان عليه السلام مخبرا عن بلقيس وجنودها ملكة سبأ في اليمن وما والاها إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون اﷻ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا ﷻ الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون اﷻ لا إله إلا هو رب العرش العظيم وقال تعالى ألم تر أن اﷻ يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن اﷻ فماله من مكرم إن اﷻ يفعل ما يشاء وقال تعالى أو لم يروا إلى ما خلق اﷻ من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا ﷻ وهم داخرون وﷻ يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى وﷻ يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآمال وقال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حلما عفورا والآيات في هذا كثيرة جدا .

ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض هي الكواكب وأشرفهن منظرا وأشرفهن معتبرا الشمس والقمر استدل الخليل على بطلان آلهية شيء منهن وذلك في قوله تعالى فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين أي للغائبين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين فبين بطريق البرهان القطعي أن هذه الأجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للآلهية لأنها كلها مخلوقة مربية مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له ولا تزيف عنه إلا بتقدير متقن محرر لا تضطرب ولا تختلف